تخلَّص من إلحادك

تأليف

محب بن مسكين

الطبع والنشر للناس جميعاً
وللمتأثرين
اطبع وانشر بين مَن تراهم
ينتفعون

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

۞١- ما معنى الإلحاد؟

✍ الإلحاد هو: رفض الاعتقاد بأية قوى غيبية.

فالملحد ينكر الخالق والنبوات والبعث.

۞٢- ما هو الدليل على وجود الله الخالق؟

✍ الأدلة كثيرة لكن نكتفي بدليلين: دليل الإيجاد ودليل العناية.

۞٣- ما معنى دليل الإيجاد؟

✍ **دليل الإيجاد يعني أن:**

كل شيء مُحدَث أي وُجد بعد أن لم يكن موجودًا، لابد له مِن مُحدِث أي موجِد.

وبذلك يكون لدينا ١٠ أس ١٢٤ دليلاً على الخلق!

وهذا الرقم هو عدد الذرات بأنشطتها الوظيفية في كل الكون.

بالمناسبة هذا الرقم عملاق فهو يعني ١٠ أمامها ١٢٤ صفرًا!

فكل شيء مُحدَث قد ظهر إلى الوجود هو دليل على الخالق الموجِد.

وأنت إذا نظرت إلى الوجود تبيّن لك عرضيته وتغيره أي أنه عرضي ومتغير وليس دائم ولا أزلي، وهنا أنت تقطع بأنه غير مكتفٍ بذاته، فينصرف نظرك إلى موجده، ويتبرهن لك بأن له خالقًا!

ولذلك ما أكثر آيات القرآن في لفت النظر إلى الموجودات، قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يونس:١٠١].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴾ [الروم:٨].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾ [الأعراف:١٨٥].

فكل شيء مُحدَث دليل مباشر على الموجِد!

٤- ما معنى دليل العناية؟

دليل العناية يعني أن:

كل شيء في الوجود على الإطلاق من الكواركات –أصغر جرم مادي تم رصده يُشكل البُنى الذرية– إلى المجرات، يحمل درجة من درجات التعقيد الوظيفي.

أي يؤدي وظيفة متخصصة ومهمة محددة.

وكل تعقيد وظيفي في الطبيعة هو مرتبة زائدة على مجرد الوجود.

فالوجود مرتبة.

والتعقيد داخل الشيء الموجود مرتبة زائدة على مجرد الوجود.

وكل ما حولك مُصمم بشكل معين ليؤدي وظيفة محددة.

إذن كل ما حولك يحمل تعقيدًا وظيفيًا.

والتعقيد الوظيفي دليل صنع وإيجاد.

إذن لابد من موجِد.

مثال ذلك "المصباح": هذا تعقيد وظيفي.

فالمصباح الكهربي يتكون من: فتيلة، وسلك من الرصاص يوصل الكهرباء للفتيلة، وغاز خامل يحمي الفتيلة ولا يتعامل معها ولا مع الكهرباء، وزجاج يمنع دخول الهواء أو خروج الغاز الخامل وإلا لاحترقت الفتيلة، وقاعدة المصباح وهي التي توصل المصباح بالدواية وتكون مسارًا للتيار الكهربي.

هنا المصباح الكهربي نظام به تعقيد لا يمكن تبسيطه، وبالتالي فيه دلالة عقلية أولية تفيد الصنع المتقن، والذي ينفي الصنع المتقن عن المصباح أو يفترض ظهوره بالصدفة هو المطالب بالدليل على ذلك!

فالذي صَنع المصباح يعلم تمامًا معنى الكهرباء ومساراتها وفائدة المصباح وحساسية الفتيلة، ولذا وجود المصباح دلالة مباشرة على أن له صانع متقِن، وليس ضرب عشواء لمجرد أن هناك مصابيح مختلفة في شكلها تمامًا عنه!

وبنفس الدرجة من الاستدلال العقلي نجد أن الشيء المعقد وظيفيًا مثل الإنسان له موجِد صانع.

المصباح يتكون من ٤ مكونات.

الإنسان يتكون من ٣ مليار مكوِن في كل خلية من خلاياه .

٣ مليار مكوِن "حرف" يشكلون وظائف الكائن الحي، والتي تسمى الجينوم أو الـDNA وتقبع هذه الحروف في نواة كل خلية من خلاياك.

فإذا ظننت أن الـ٤ مكونات الخاصة بالمصباح لها صانع وأنت ليس لك صانع فهذه مشكلتك أنت.

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الطور:٣٥].

وكل شيء حولك فيه تعقيد، ولا يوجد شيء في الطبيعة على الإطلاق بدون قدر من التعقيد الوظيفي كما يقول علماء الفيزياء.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة:١٦٤].

والآيات في ذلك كثيرة جدًا؛

ولا يتذكر إلا من يستخدم عقله ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧].

فاقتضى الوجود –دليل الإيجاد– وضبط الموجودات –دليل العناية– التسليم بصحة دلالة الموجِد عقلاً!

۞٥- لماذا لا يكون الإنسان وغيره من الكائنات الحية مصدرهم كائنات أولية بسيطة جدًا؟

✍ **هنا مشكلتان**:

الأولى: أنه لا يوجد دليل واحد رصدي على تطوري كبروي.

والتطور الكبروي معناه: انتقال نوع من الكائنات الحية إلى نوعٍ آخر.

والعلماء لم يرصدوا دليل واحد على انتقال نوع إلى نوع، فهذا مجرد افتراض.

فكيف للملحد أن يؤمن بهذا الدليل وينكر علينا الدليل الديني؟

المشكلة الثانية: طبقاً لنظرية الحد الأدنى من الجينات Minimum gene set concept لا يُمكن لكائن حي مهما كانت بساطته أن ينزل إلى أقل من ٢٠٠ جينة وفي عدد ٦ يناير ٢٠٠٦ نشرت مجلة الطبيعة الشهيرة Nature أنه " لا يمكن أن نتجاوز حاجز ٣٩٧ جين "، فإنتاج الطاقة وحدة يتطلب ٦ جينات كحد أدنى، وإذا نقص جين واحد فالخلية لن تُزوَّد بالطاقة، وهكذا كل وظيفة أساسية لها حد أدنى من الجينات، وقد وجد العلماء أن الميكوبلازما Mycoplasma وهي أدق كائن حي موجود على وجه الأرض على الإطلاق، لديه ٤٦٨ جين، والجينة الواحدة تحتوي على بروتينات مُركبة قد تصل من ١٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ حمض أميني.

إذن المشكلة لو عندك ٣ مليار معلومة متخصصة –تلك المعلومات الموجودة داخل نواة كل خلية من خلاياك- لإنتاج وظائف حيوية دقيقة أو حتى ١٠ آلاف معلومة، فأنت أمام كنز عملاق من المعلومات المتخصصة ظهرت فجأةً.

فالملحد كان يتخيل أن هناك كائنات بدأت من الصفر جينة، لكن أتت نظرية الحد الأدنى من الجينات لتقضي على هذا الحلم.

فالكائنات الحية ظهرت معقدة وظيفيًا منذ اللحظة الأولى.

۞٦- ما هي الأمثلة على دليل العناية؟

✍ الأمثلة لا حصر لها.

ولا تسعها دواوين الأرض.

فكل ذرة في الكون هي دليل عناية عِلمنا اليوم أو غدًا بهذه الحقيقة.

أ- فالإنسولين —هرمون هضم الجلكوز- يفرزه البنكرياس بنفس مقدار السكر الذي أكلته.

ب- قوة ضخ القلب للدم تتعادل مع الطاقة التي تحتاجها العضلات بحسب الجهد المبذول.

ج- صمامات معدتك لئلا يرجع الطعام إلى فمك فتتأذى.

د- صمامات الإخراج لئلا تتأذى ثيابك في كل لحظة.

هـ- عظام جمجمتك لا تلتحم حتى تنزل من بطن أُمك آمناً بسهولةٍ ويُسر، لأنها لو كانت ملتحمة لما نزلت من بطن أمك إلا بعد تكسرها، ولا يكتمل نموها حتى يكتمل نمو مخك.

و- كل محاور أعصابك والتي تنقل الإشارات الكهربية مُغطاه بطبقة عازلة —كما نفعل نحن الآن مع الأسلاك الكهربية -، لئلا تشرد الإشارة الكهربية أو تضيع أو تسبب لك إزعاجًا.

ز- الالكترون يدور حول النواة بسرعة ألف كيلو متر في الثانية وإلا لسقط داخل النواة بفعل قوة التجاذب مع النواة الموجبة ولانهار الكون قبل أن يبدأ، وهذه هي السرعة المثالية لتشكل الذرة.

ح- وعندما تلتحم ذرتان من الهيدروجين فإن ٧, ٠ ٪ من كتلة الهيدروجين تتحول إلى طاقة، ولو كانت هذه الكتلة هي ٦, ٠٪ بدلا من ٧, ٠٪، فإن البروتون لن يلتحم بالنيوترون، ولظل الكون مجرد هيدروجين فحسب، ولما ظهرت باقي العناصر، ولو كانت الكُتلة المتحوّلة إلى طاقة هي ٨, ٠٪ بدلاً من ٧, ٠٪،لأصبح الالتحام سريعاً للغاية، الأمر الذي سيؤدي إلى اختفاء الهيدروجين فوراً من الكون، فتستحيل معه الحياة، فالرقم يلزم أن يكون بين ٦, ٠٪ و ٨, ٠٪ .

ط- كتلة الإلكترون Electron mass تمثل ٠,٢٪ من كتلة النيوترون Neutron mass، وهذه هي الكتلة القياسية لتكوين الذرَّة .

ي- تتجه البراعم بعد الإنبات مباشرةً نحو مصدر الضوء وتتجه الجذور نحو الأسفل حيث تتمتع البراعم بحساسية مفرطة للضوء، وكل المعلومات التي تحتاجها للقيام بوظيفتها توجد مُشفرة داخل البذرة، وهناك هرمونات تتحكم في النمو العلوي والجانبي للنبتة وفي اتجاه الجذور وكلها أيضاً مشفرة داخل البذرة.

وأنت تأكل الفاكهة اللذيذة ثم ترمي البذرة الجافة اليابسة عديمة الطعم بعيدًا عنك، أنك بذلك تخضع لعقل مدبر يحكم الكون كله، يسمح لتلك الفاكهة أن تُمرر جيناتها لكل مكان في الأرض حيث تمنحك طعماً لذيذاً وتُخفي جيناتها أصل حياتها في قلب بذرة جافة ملساء غير مغرية لك ما أن تلتصق بالأرض حتى تبدأ تتفتق بهدوء إلى فروع وجذور فتنبت وبذلك تكون الأم قد نجحت في تمرير جيناتها للأبناء، كل هذا يحدث في نباتات لا تعي شيئا.

مَن الذي ضبط المعلومة لتلك الفاكهة البكماء الصماء، وضَبَط كمية السُكر بها بحيث تروق لك؟

مَن الذي جعل البذرة غير مقبولة وغير مُستساغة، حتى تزهد فيها وتلقيها بعيدًا؟

مَن الذي شحن البذرة بالمعلومات الوراثية الكافية لتخليق نبتة جديدة بكل تفاصيلها ووظائفها؟

ك- العلماء يتحدثون مؤخرًا عن كتلة الكون الكلية وأنها ضرورية لوجودنا على الأرض؟

فالعطالة أو القصور الذاتي Inertia والتي تعني مقاومة الجسم لأي تغير في حركته، هذه النعمة مصدرها كتلة الكون ككل.

ولو كانت العطالة أقل مما هي عليه الآن لاستطاع نسيم الهواء البسيط تحريك الصخور ولما استطاع الصخر مقاومة أقل جهد يُبذل عليه، وفي عالم كهذا نكون معرضين باستمرار لقصف كل أنواع الأشياء.

ولو كانت العطالة أكبر مما هي عليه الآن لوجدنا صعوبة بالغة في تحريك أصابعنا، ولو استطعنا تحريكها سيكون التحكم بسرعتها واتجاهها ضرب من المستحيل.

وهذا يعني أننا لن نتحرك ولن نقوم بعمل أي نشاطٍ يُذكر!

ولن يغادر الإنسان الأول مكان ظهوره ولن تغادر الأجنة -إذا استطاعت التشكل أصلاً- الأرحام إلا بجهدٍ جهيد!

لذا من المثير أن مقدار عطالة المادة يجب أن تكون مطابقة لما هي عليه الآن!

والأمر الذي أدهش الفيزيائيين -خاصةً دينيس سياما في كتابه Unity of the Universe - أن كتلة مجرة درب التبانة لا تشارك في ضبط العطالة إلا بنسبة ٠,١ بالمليون، بينما كتلة الأرض لا تضبط العطالة إلا بنسبة ٠,٠٠١ بالمليون.

وهذا يدفعنا للقول بأن العطالة المثالية التي نحيا على ثمارها والتي من خلالها نمارس كل أنشطتنا هي نتاج مجموع طاقة الكون ككل.

وهذا يدفعنا واقعيًا للقول بأن وجودنا يعتمد بدقة على كتلة الكون ووجود الكون ككل!

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧].

وكلما توّسع العلم ظهرت عجائب الحكمة ودقائق الخلق![١].

٧- بعض الملاحدة ينتقد دليل العناية فيقول هناك أشياء غير مثالية مثل: الأمراض والزلازل؟

---

(١) ناقَش هذه المسألة بالتفصيل مايكل دانتون في كتابه قدر الطبيعة والكتاب مترجم من إصدارات دار الكاتب.

✍ عدم وجود أشياء متقنة في الكون على حد تعبير الملحد لا ينفي وجود الإتقان.

فهو بذلك يؤكد وجود الإتقان في الكون.

فلو لم يكن ثمة إتقان أصلاً لما أدرك الملحد وجود أشياء غير متقنة.

فكيف تتحدث عن عيب في التصميم في عالم بلا تصميم؟

أما ما يصفونه بأنه غير مُتقن فهذا قصور في العلم أو قصور في إدراك الحكمة من الأشياء.

فالمؤمنون لا يقولون أن الكون متقن فلا تقع فيه مصائب، وإنما يقولون أن الكون متقن فلا يقع فيه شيء بلا غاية.

وموقف الملحد شبيه بمن ينفي الاتقان عن مركبة الفضاء لوجود كمية ضخمة من المواد البترولية فيها والتي قد تُفجر المركبة في أية لحظة![١].

والعالَم لم يُصمَم ليكون عالم أبدي أو أزلي أو لنصير آلهة؟

بل نحن مُصممون لنبتلى بالخير والشر ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].

وكل هذا يدور في إطار الغاية والحكمة.

٨- من البديهي أن الله لا يحتاج إلينا فلماذا خلقنا؟

✍ فكرة أن الحاجة يقابلها العبث هي فكرة سخيفة!

فالحاجة يقابلها الحكمة لا العبث.

فالطبيب الثري صاحب الصيت الطيب قد يعالج الناس دون أن يحتاج منهم شيئًا، بل يعالجهم لمصلحتهم هم وهنا نحن لا نصف فعله بأنه عبث!

فالحكمة والمقصد العظيم من وراء الفعل لا يدوران في حلقة الحاجة/ العبث!

---

(١) ظاهرة نقد الدين في الفلسفة الحديثة، د. سلطان العميري، رسالة دكتوراه.

وقد ينقذ أحد السباحين طفلاً رحمةً به ثم يتركه ويذهب دون انتظار ثناء أهل الطفل، وهنا فعله لا يُصنف حاجةً ولا عبثًا بل هل فعل كريم ومقصد نبيل وخلق طيب!

فلا تلازم بين الاحتياج وبين العبث![١].

وفي صحيح مسلم في الحديث القدسي: «**يا عبادي لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجنَّكم كانوا على أفجَرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما نقصَ ذلِكَ مِن مُلْكي شيئًا ولو كانوا على أتقَى قلبِ رجُلٍ واحدٍ منكُم ما زادَ ذلِكَ في مُلْكي شيئًا ولو قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيتُ كلَّ واحدٍ مسألتَهُ ما نقصَ ذلِكَ مِمَّا عندي شيئًا**».

فالله غني عن العالمين، وما سعينا وجهدنا وعملنا إلا لأنفسنا ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٦].

وجهل المريض بحكمة الطبيب لا يعني أن قرارات الطبيب عبثية.

فالعلم بالحكمة الإلهية لا يشترط له فهم كل أبعاد الحكمة وإنما يكفي فهم بعضها!

فيكفي أن نعلم أننا مُكلفون وأن نعلم التكليف ولوازمه وأن نعلم وجود الحكمة الإلهية، فهذا يكفينا من حيث الجملة، وإلا نكون كالذي يكفر بما لا يفهمه {﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ ﴾ [يونس:٣٩].

فالله حكيمٌ وخلقنا لحكمةٍ سبحانه.

٩- هل الاستدلال على الخالق هو استخدام لأدلة الخبرة البشرية ؟

أدلة الخلق تقوم على استدلال فطري إثباتي وعلم يقيني من مقدماتٍ ضرورية.

فالقرآن في الاستدلال على الخلق لا يسلك مسلك الاستدلال بالقياس.

والقياس: يثبت المعاني ثم يستخرج منها الحكم.

بينما الاستدلال على الخلق يعتمد على النظر المباشر والدلالة الرصدية.

---

(١) ظاهرة نقد الدين في الفلسفة الحديثة، د. سلطان العميري، رسالة دكتوراه.

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ ﴾ [الطور:٣٥] هنا حصرت الآية الكريمة سبب وجودهم في ثلاث: إما أنهم جاؤوا من غير شيء وهذا ممتنع إذ العدم لا يوجِد شيئًا وهو أصلاً غير موجود ليوجِد غيره، وإما أنهم أوجدوا أنفسهم وهذا ممتنع فهذا تناقض ظاهر، ويبقى الحل الثالث وهو أن لهم خالقًا خلقهم.

فهذا استدلال عقلي أولي وليس قياسًا على شيء حتى نقول أنه مبني على مجرد الخبرة البشرية.

وإن كنا لا نرى في الاستدلال بالخبرة البشرية قدحًا، فكل علوم العالم مبناها الخبرة البشرية.

وعندما قلنا أن الكون موجود وهو غير مكتفٍ بذاته إذن له موجِد، وكل شيء في الكون جاء بثوابت فيزيائية مبهرة وضبط دقيق، إذن لابد من صانع وخالق، فهنا نحن استخدمنا مقدمات أولية مباشرة وليس قياساتٍ عقلية أو خبراتٍ بشرية.

فالسببية كأحد أدلتنا على الخالق سبحانه لا تعتمد على الحس والاستقراء وإنما هي مبدأ عقلي يستند إلى الضرورات العقلية اليقينية الأولية.

۞ ١٠- ما المانع أن يكون هناك سبب مادي خلَق الكون؛ مثلاً: حضارة أخرى أو شيء آخر؟ لماذا الإله الأزلي تحديدًا؟

✍ هناك قاعدة أسّس لها علماء الإسلام منذ أكثر من ألف عامٍ تقريبًا هذه القاعدة تقول أن: «التسلسل في الفاعلين يؤدي بالضرورة إلى عدم وقوع الأفعال»[(١)].

التسلسل في الفاعلين: أي وجود أكثر من خالق، وفي هذا السؤال عندنا حضارة أخرى وحضارة سبقتها أنتجتها وحضارة سبقتهم أنتجتهم وهكذا، فهناك تسلسل في الخالقين.

هذا التسلسل يؤدي بالضرورة إلى عدم وقوع أفعال.

عدم وقوع أفعال: أي عدم ظهور مخلوقات مثل الكون والإنسان وغيرهم.

---

(١) مصدر سابق.

فالتسلسل في الفاعلين يؤدي إلى عدم ظهور الكون والوجود.

فلو أن إحدى الحضارات يتوقف ظهورها على حضارة أخرى أنشأتها والحضارة الأخرى يتوقف ظهورها على حضارة سابقة عليها أنشأتها وهكذا إلى ما لا نهاية، فلن تظهر هذه الحضارة ولا التي تسبقها ولا التي تسبقهما ولن يظهر الوجود ولا شيء.

فلابد من خالق أول أزلي أوجد كل شيء!

ولو أردنا مثالاً تبسيطيًا آخر نقول: عندنا مجموعة من أحجار الدومينو متّراصة يلي بعضها بعضًا بحيث لو سقط حجر ستسقط بقية الأحجار بالتتابع. هنا نقول لو أن حجر الدومينو لن يقع إلا لو وقع حجر قبله والحجر الذي قبله لا يقع إلا لو وقع الذي قبله وهكذا فلن يقع أي حجر إلا لو كان لسلسلة أحجار الدومينو بداية.

فلو كانت أحجار الدومينو لانهائية ما وقع أي حجر.

فلو كان تسلسل لا نهائي لن توجد مخلوقات ولا خلق ولا موجودات لأن الفاعل سيتوقف وجوده على فاعل يسبقه وبالتالي لن يظهر فعله إلا بعد ظهوره، وظهوره يتوقف على غيره وغيره يتوقف على غيره وهكذا، فإذا كانت السلسلة لانهائية ما كان هناك خلق ولا موجودات ولا أفعال ولا مفعولات.

فلابد من مبتديء للخلق خالق موجِد أول.

فالممكن المفتقر لابد له من موجِد فلو قلنا بأنهم كلهم ممكن مفتقر ما ظهر منهم أحد، إذ لابد أن تتوقف السلسلة عند حد.

وهنا نجزم بالخالق الأول الذي لا يسبقه شيء!

١١- نحن نعرف القوانين التي تحكم الكون ونعرف سبب الزلازل جيدًا، فلماذا نحتاج إلى الخالق طالما عرفنا القوانين؟

يفترض الملحد أن القوانين تكفي لخلق الكون وظهوره، وقد اعتمد ستيفن هاوكنج على هذه المقدمة فافترض أن قانون الجاذبية يكفي لظهور الكون، كما أوضح ذلك في كتابه الأخير "التصميم العظيم" (١).

وقد انتشر تقرير هاوكنج في الصحف العالمية وتناقلته وسائل الأنباء، وتداولته المواقع الشعبية بكثافة!

وبغض النظر عن سقوط هذا الزعم ذاتيًا بمجرد التفكير في مصدر قانون الجاذبية، أو مَن الذي قننه ومَن الذي أعطاه صفة التدخل وإظهار الأثر؟

بغض النظر عن هذه البديهيات الأولية فإن قوانين الجاذبية لا تؤدي إلى دحرجة كرة البلياردو!

فالقانون وحده عاجز عن أي شيء بدون ظهور الشيء!

فقانون الجاذبية لن يُنتج كرة بلياردو وإنما فقط يُحركها إذا ظهرت وضُربت بعصا البلياردو.

فقانون الجاذبية ليس شيئًا مستقلاً وإنما هو وصف لحدث طبيعي!

وقانون الجاذبية لن يُحرِّك كرة البلياردو دون قوة تضغط على عصا البلياردو وتحركها وهنا فقط تتحرك كرة البلياردو ويظهر أثر قانون الجاذبية!

لكن الملحد يفترض أن وجود قوانين الجاذبية تكفي لخلق كرة البلياردو وعصا البلياردو ودحرجة الكرة.

أيهما أكثر قربًا من العقل والمنطق: الدين أم الإلحاد؟

وبالمثل قوانين الإحتراق الداخلي في موتور السيارة لن تخلق موتور سيارة.

(١) – التصميم العظيم(٢٠١٠) ستيفن هاوكينج.

ولو أضفنا قوانين الإحتراق الداخلي إلى موتور السيارة فإن الموتور أيضًا لن يعمل، فلابد من البنزين الذي يعطي طاقة، ولابد من شرارة الاحتراق ولابد قبل ذلك من وجود الموتور. وهنا فحسب تظهر قوانين الإحتراق الداخلي ويعمل الموتور!

فليس من العقل افتراض أن قوانين الاحتراق الداخلي تكفي لخلق الموتور وشرارة الاحتراق والبنزين والسائق والطريق.

ثم إن هذا الافتراض سيدخلنا في تسلسل الفاعلين الذي شرحناه في إجابة السؤال السابق.

١٢- ما المانع أن يكون مصدر الكون هو الصدفة؟

القول بالصدفة هو جهل بأصول الاحتمالات؛ لأن الصدفة لها شرطان لا ينفكان عنها.

وهما: الزمان والمكان.

فالصدفة تشترط زمان تقوم فيه بإحداث أثرها.

وتشترط وجود مادي مكاني تقوم عليه ليُنتج مفعولها.

فكيف نقول بدور للصدفة في إيجاد الكون، مع أن كوننا جاء من اللازمان واللامكان؟

كيف يظهر أثر الصدفة دون ظهور الصدفة نفسها؟

كيف تُعطي الصدفة أثرًا قبل وجودها ووجود الزمان ووجود المكان اللذان هما شرطا الصدفة الأساسيان؟

١٣- كيف نرد على الملحد الذي يقول أن الكون تطور؟

العلم لا يقول بانتقال العالم من عناصر بسيطة إلى عناصر أكثر تعقيدًا!

بل يقول بالعكس تماماً.

العلم يقول بانتقال العالم من التعقيد التام إلى التبسيط عبر الزمن.

وهو ما يُعرف بالقانون الثاني للديناميكا الحرارية Second Law of Thermodynamic ولتبسيط هذا القانون:

فأنت لو كان عندك كوب ماء ساخن في الغرفة فإن الحرارة ستنتقل من الماء الساخن إلى جو الغرفة حتى تعادل درجة حرارة الغرفة درجة حرارة الكوب، وهكذا يسري هذا القانون على كل شيء في الكون وفي لحظةٍ ما ستتعادل حرارة كل شيء في الكون وعند هذه اللحظة سيحدث الموت الحراري للكون Thermal Death of Universe.

ولو كان الكون أزليًا لكان المفترض أن يصبح الكون متوقف الآن –ميت حراريًا-، لكن في الواقع الكون الآن في حالة أقل من الانتروبي القصوى، ولم يصل للموت الحراري بعد إذن هو ليس أزليًا، وله بداية ثابتة ظهر معها الزمان والمكان.

بل لقد ظهر الكون عند الحد الأدنى من الأنتروبي، وهذا يعني أنه حدوثه على غير مثالٍ سابق –مُبدَع-.

بالمناسبة هذا قانون وليس نظرية!

وهو يسري على كل شيء، على الذرة وعلى المجرة!

وهذا القانون جوهري في إثبات أن فكرة اتجاه جزئيات العالم نحو التعقيد كما يتخيل الملاحدة هي فكرة وهمية لا توجد في الواقع!

فالكون يسير نحو التبسيط لا التعقيد.

۱٤- كيف علمنا أن لحظة ظهور الكون كانت بناءً على قانون السببية؟ أو بصيغة أخرى: هل قانون السببية ينطبق على خارج الكون؟

✍ نحن نقول بقانون السببية على الإيجاد لأنه قانون أولي.

وبما أن الكون موجود إذن هناك مؤثِر أوجده.

وقد ثبت علميًا مؤخرًا أن الكون أوجِد على يد مشغِل أوجده، فيما يعرف بـoperatoer formulation of Quantum mechanics

Operator: تعني مشغِل.

فلابد من مشغِل طبقًا لميكانيك الكم.

وإلا ما ظهر الكون!

وهذا يعني أن قانون الحدوث والسببية ينطبق على الكون ذاته لحظة ظهوره.

١٥- لكن لماذا لا ينطبق قانون السببية على الخالق؟ أو بصيغةٍ أخرى: مَن الذي خلق الخالق؟

أولاً: الخالق لا تنطبق عليه قوانين مخلوقاته وهذا بديهي.

وإلا لقلنا: مَن الذي طبخ الطباخ؟

ومَن الذي دَهن الدهّان؟

فالخالق من البديهي أنه موجِد الزمان والمكان فلا تنطبق عليه قوانين هو الذي أوجدها سبحانه!

ثانيًا: كل شيء حادث له محدِث، هذا صحيح؛ لكن الخالق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١] وليس حادث.

ثالثًا: لابد أن يكون الخالق أزليًا واجب الوجود وإلا عدنا إلى مشكلة "التسلسل في الفاعلين الذي يؤدي بالضرورة إلى عدم وقوع أفعال" وهذا شرحناه قبل قليل بالتفصيل.

١٦- لماذا لا يكون أكثر من خالق أزلي؟

قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢].

١٧- لكن ما المانع العقلي من أن يكون هناك إلهين ويتفقا -بحيث لا يتعارض قراريهما-؟

القضية ليست بفساد الكون لاتخاذ قرارين متعارضين.

أو لأنه يمكن أن يتفقا فلا يفسد الكون.

القضية العقلية التي تقدمها الآية الكريمة أبعد وأشمل من ذلك بكثير!

وجود إله مع الله يقتضي التركيب -تعدد الجواهر أو العلل-.

والتركيب يستلزم الافتقار.

والافتقار على الخالق -حاشاه سبحانه- يستلزم عدم أمان الكون وأنه قد ينهار.

فلا ضمان لبقاء الكون مع إله مفتقر!

ولا ضمان لعدم فساد السماوات والأرض في أية لحظة مع إله مفتقر!

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٢].

تنزه الباري عن التركيب والافتقار فهو الغني القيوم سبحانه.

أضف إلى ما سبق: أنه لو كان فيهما إلهين أو أكثر فإمكان التعارض بالفعل أقرب عقلاً من التوافق لأن أكثر من إله يعني أكثر من جوهر وأكثر من مشيئة وأكثر من إرادة، وتعدد الإرادات يعني إفتقار كل أحد، والافتقار يقتضي التعارض عقلاً!

١٨- لماذا الدين؟

أشرس ملحد يؤمن أن الصدق أفضل من الكذب، أليس كذلك؟

أشرس ملحد يؤمن أن الأمانة أفضل من الخيانة، أليس كذلك؟

هذه مصطلحات ليست من هذا العالم وليس في العالم المادي ما يبرر معناها ولا مقتضاها.

فما معنى الصدق؟

ما معنى الكذب؟

هل لو قمنا بتحليل أعماق الذرة سنرصد معانٍ مثل الصدق أو الكذب؟

هل لو رصدنا فيزياء المجرات أو كيمياء الهرمونات سنرصد الأمانة أو الخيانة؟

هذه مصطلحات ليست من هذا العالم المادي.

لكنها مصطلحات حقيقية.

بل هي أهم شيء في الوجود على الاطلاق.

فقيمة الانسان بأخلاقه وليس بحجمه المادي ولا بعدد ذراته ولا بمستوى طاقة خلاياه.

قيمة الإنسان بالتكليف الإلهي داخله.

فهناك رجلٌ صالح ورجلٌ فاسد.

لكن لا يوجد جبلٌ صالح وجبل فاسدٌ.

ولا نرصد كوكبًا أمينًا وكوكبًا خائنًا.

الإنسان فقط هو معنى القيمة ومعنى الغاية ومعنى الوجود.

الإنسان فقط هو الذي يستوعب الوجود.

۞١٩- ما المانع أن تكون هذه الأخلاق نتاج دماغ أو مجتمع؟

✍ يتكون الدماغ من نفس المكونات المادية بالضبط!

مهما تعقد الدماغ أو تعقدت التركيبات المادية فمجموع الأصفار لن ينتج إلا صفرًا مهما تضخم عدد الأصفار أو تراكب فوق بعضه.

إذا كانت المادة لا تعرف خيرًا ولا شرًا فالدماغ كذلك!

وهنا السؤال: كيف وصل مفهوم الخير والشر إلى الدماغ؟

ما هو المانع الدماغي من إبادة أهل الأرض جميعًا؟

ما هو المانع الدماغي من إدخال الأعراق البشرية الأدنى أقفاص حيوانات؟

ما هو المانع الدماغي من تدمير كل المرضى والمعاقين في مشروع الانتخاب الطبيعي الذي قام به النازي مشروع أكشن تي فور؟[١].

هذه الإسئلة لا يملك الدماغ المادي جوابًا عنها بالتخطئة أو التصحيح.

فالدماغ محايد تمامًا من الناحية الأخلاقية.

لأنه يتركب من نفس ذرات الأرض.

---

(١) https://en.wikipedia.org/wiki/Aktion_T٤.

فلا علاقة بين الدماغ وبين الأخلاق من قريبٍ أو بعيد.

أما فكرة أن المجتمع منشأ الأخلاق هي فكرة غريبة، لأن الأخلاق ذاتية، ولأنها تعني الإنسان كإنسان وليس المجتمع كمجتمع.

ولو صح هذا الكلام، واعتبرنا أن الأخلاق نتاج مجتمع، لأصبح النازي مصيبًا في إبادة غيره لأن المجتمع يرى ذلك.

لذلك الصحيح أن الأخلاق مستقلة عن المجتمع.

فالصواب صواب عند المجتمع الصالح والمجتمع الفاسد.

والخطأ خطأ عند المجتمع الصالح والمجتمع الفاسد.

فالأخلاق لها معنىً يتجاوز الدماغ والمجتمع.

۞ ٢٠- ما علاقة الدين بموضوع الأخلاق؟

✍ الوحيد الذي يبرر معنى الأخلاق هو الدين.

الوحيد الذي يعطي للأخلاق صبغتها هو الدين.

والأخلاق لا يمكن فهمها إلا في إطار التكليف الإلهي.

والدين هو نبض الوجود الأوحد.

فمن خلال الدين نعرف غاية الوجود.

ونعرف لماذا نحن هنا؟

وماذا بعد الموت؟

ومعنى الوجود.

وما المطلوب منّا في الوجود؟

أما بدون الدين فالعالم كله يتحول إلى عماء كامل وعدمية تامة.

يقول ابن القيم رحمه الله: «لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم،

ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به»[(١)].

فالدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة؛ كما يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله[(٢)].

فبدون الرسالات لا تُعرف غاية الوجود ولا معنى الخير ولا قيمته.

وبغير الرسالات يتحول العالم إلى عبثية مخيفة.

فأنت بدون النبوات نفاية نجمية كما يقول كارل ساغان، وحشرة كما يقول سارتر[(٣)].

فالنبوة هي نبض الوجود الأوحد، وبدون النبوة تتحول أروع المخترعات وأمتع الشهوات إلى رعب!

بدون الدين يتحول العالم إلى هباء.

وأنت لو سألت أي ملحد عن أي سؤال وجودي مثل: لماذا نحن هنا في هذا العالم أو ماذا بعد الموت؟

فإنه إما أن يسفسط سؤالك أو يلتزم الخرس التام.

---

(١) زاد المعاد١-٦٨

(٢) مجموع الفتاوى ١٩-٩٤،٩٣

(٣)Video Source: The Shores of the Cosmic Ocean [Episode ١]

Some part of our being knows this is where we came from. We long to return. And we can. Because the cosmos is also within us. We're made of star-stuff. We are a way for the cosmos to know itself. ٠٦ min ٠٤ sec

أما كون الإنسان حشرة فقد ذكر ذلك سارتر في روايته غثيان.

إذن الدين مقتضى طبيعي للنظر في القيم الاخلاقية وفي جواب معنى الوجود وفي جواب سؤال من الذي أوجد الوجود وأوجد الانسان والغاية من الوجود والحكمة من أفعال الموجودات.

۞٢١- الكون ضخم جدًا والكرة الأرضية صغيرة مقارنةً به، فلماذا يهتم الله بهذه الكرة الصغيرة في هذا الكون الفسيح؟

✍ هل عندما نقول أن الملك أوصى لابنه ببعض الوصايا والنصائح وكَتب له في ذلك كتاباً، هل يمكن أن يأتي معترض ويقول: كيف لملك يملك ملايين الأفندة والأراضي الشاسعة التي لا حصر لها، أن يهتم بابنه الذي لا يبلغ حجمه ووزنه واحد على مليار مليار مما يملك الملك–ولله المثل الأعلى–من الأفدنة والأراضي؟

هل هذا اعتراض عاقل أو يمكن أن يُلتفت إليه؟

فافتراض أن ضخامة حجم الشيء أو ضآلته مؤثر في المسألة، هو افتراض ساذج!

ثم إننا نحن البشر العبرة عندنا ليست بالحجم الحسي للإنسان –وزنه– وإنما بالحجم المعنوي لأشياء بلا حجم كالأخلاق والصدق والأمانة.

فالفرق بين أعظم البشر الذين أقاموا أعظم الحضارات وبين أدناهم هو فرق معنوي لا مادي –مثل ملكة القيادة وحسن العمل ونبل الأخلاق–، ولو كان للحجم في ميزان الله اعتبار لكانت السماوات والأرض أولى بحمل الأمانة!

ثم إن الحيتان أضخم من الميكروبات بمليارات المرات، فهل هذا يعني أن الحيتان أهم من الميكروبات؟ وما معنى كلمة "أهم" هنا؟

وهل الله يهتم بالكائن الضخم لضخامته ولا يهتم بالكائن الصغير؟

أم أنه كفل للجميع الرزق والنظام الأنسب؟

ثم إن الحجم في الأصل نسبي كما علمتنا الفيزياء، فالفيزياء تخبرنا أن السماواتِ والأرضَ مصدرهما نقطة أصغر من رأس الدبوس –أصغر من الذرة بمليارات المرات–.

إذن القضية ليست بالأحجام ولا الحكم على الأشياء يكون بالأحجام والأوزان والأثقال.

القضية هي إدراك هذه الأشياء واستيعابها!

والآن هل ثمة شيءٍ يستوعب الخلق والتكليف والحكمة والصنع والمعنى والغاية سوى الإنسان؟

٢٢- يوجد أكثر من إله في حضارات الأرض، فلماذا تقولون الله تحديدًا؟

لا يوجد معبود في كل ديانات الأرض إلا الله.

وخلافنا مع بقية الديانات أنهم اتخذوا مع الله آلهة صغيرة مثل يسوع والروح القدس في النصرانية وفشنو وشيفا وبراهما في الهندوسية ..إلخ

فالديانات كلها تؤمن بالله الواحد الأحد وهو عندها خالق الوجود.

لكنهم يجعلون مع الله آلهةً أخرى لا أكثر.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦١].

فحتى أوثان المشركين لم يتخذوها آلهةً لذاتها وإنما يُسلِّمون أن الله هو الخالق لكنهم يجعلون له وسائط.

يقول الشهرستاني عن أوثان العرب قديمًا: «أما الأصنام فلم يكن العرب يعبدونها لذاتها، ولم تكن عندهم مجرد قطعة من حجر».

ويقرر ول ديورانت أن أصل وثنية الهندوس يعود في الإخير إلى الإيمان بالله الواحد الأحد.

فيقول: «هذه الألوف من الآلهة هي نفس ما تفعله الكنائس المسيحية من تقديس لآلاف القديسين فلا يتطرق إلى ذهن الهندي ولو للحظة واحدة أن هذه الآلهة التي لا حصر لعددها لها السيادة العليا»(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن ظن في عباد الأصنام أنهم كانوا يعتقدون أنها تخلق العالم أو أنها تنزل المطر أو أنها تنبت النبات أو تخلق الحيوان أو غير ذلك، فهو جاهل بهم بل كان قصد عباد الأوثان لأوثانهم من جنس قصد المشركين بالقبور للقبور المعظمة عندهم»(٢).

فالله واحد في كل ديانات الأرض ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٦].

فما الأوثان والآلهة البشرية إلا وسائط كفرية لله، ما أنزل الله بها من سلطان.

٢٣- هناك أديان كثيرة فلماذا الإسلام؟

الإسلام ليس دين بين الديانات.

الإسلام يوافق في عقيدته عقيدة جميع أنبياء العهد القديم.

فالإسلام هو تصحيح لمسار الديانات التي انحرفت، وإعادة لنهج أنبياء العهد القديم من لدن آدم إلى نوح وصالح وأيوب وهود وإبراهيم وموسى وداوود ويونس وهارون وعيسى، فعقيدة هؤلاء جميعا هي عقيدة الرب إلهنا ربٌ واحد بلفظ التوارة والإنجيل(٣).

هذه العقيدة التي لا تعرف تثليثًا ولا أقانيم ولا موت آلهة منتحرة ولا انتزاع آلهة من آلهة أخرى - انتزاع الروح القدس من الآب - ولا آلهة قومية .

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت، مجلد٣ ص٢٠٩.

(٢) مجموع الفتاوى ١-٣٥٩.

(٣) سفر التثنية ٦-٤ وإنجيل مرقس١٢-٣٢

يقول الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى:١٣].

وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء:١٦٣].

فالإسلام ليس ديانة كالديانات وإنما هو أصل الديانات وتصحيح للخلل الذي أصاب الديانات، وبالأخص اليهودية والمسيحية في نسختيهما العهد القديم والجديد.

٢٤- كيف نستدل علميًا على وجود الغيب "جبريل على سبيل المثال"؟

الإيمان بسيدنا جبريل عليه السلام أو بأية قضية غيبية خارج حدود الزمان والمكان بداهةً، وبالتالي لا يخضع لقوانين المادة.

والإيمان به يعود إلى التسليم بصدق الرسالة بشواهدها القطعية!

فإذا ثبتت صحة الرسالة ثبت كل غيب تخبر به.

فمَن قامت البراهين والآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله كان صادقاً في كل ما يخبر به عن الله(١).

فنحن نؤمن بالمُغيبات تبعاً لإيماننا بالرسالة الدينية وليس إيماناً مُستقلاً !

٢٥- إذا كان الإسلام هو دين الحق لماذا توجد شبهات؟

قال الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ

(١) الجواب الصحيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، مجلد ٢- ص٣٤

﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧].

فمن الطبيعي أن يكون هناك متشابه ومحكم.

حتى يتبع الذي يريد الزيغ ما يُرضي به زيغه ويتبع المحق الحق!

فالحق أبلج لكن لابد من وجود متشابه لأن المتشابه تكملة للاختبار حتى تتفكر وتتدبر ويكون هناك كفر وإيمان.

لكن أصول الإيمان يقينية قطعية، ويأتي المتشابه في فهم نص أو دلالة أثر أو مقتضى حكم شرعي!

فسنة الله في خلقه التكليف، وسنته في التكليف خفاء الحكمة، وسنته في الحكمة دقائقها، والفائزُ مَن استدل بما يعلم على ما خفي ودقّ، والخاسر من جعل مما يجهل حجابًا يحرمه من الاستدلال بما يعلم.

٢٦- ما الذي تعيبونه على الإلحاد؟

الإلحاد يتطلب إيمان أعلى بكثير من الإيمان الديني.

لكنه إيمان مبني على الفروض الكاذبة والخيالات السخيفة.

فحتى تلحد عليك أن تتخيل أن:

أ- اللاشيء انضاف إلى اللاشيء فصار شيئًا عظيمًا من أروع ما يكون وبمنتهى المعايرة الدقيقة.

ب- الصدفة أنتجت الحدود الحرجة والثوابت الفيزيائية التي جاء بها الكون؛ في حين أن شرطي الصدفة هما المكان والزمان، والكون جاء من اللامكان واللازمان!

ج- العشوائية أنتجت حياة، في حين أن العقل البشري في قمة جبروته الآن لا يستطيع أن يُنتج أبسط صور الحياة.

د- كل القيم الأخلاقية والتأصيلات القيمية التي نُسلم بصحتها والتي يسير أغلبها في اتجاه مضاد للمادة تمامًا –فالأخلاق الأصلية عبء مادي وخسارة على المستوى المصلحي– هي من معطيات المادة ومنتوجاتها.

هذه المحالات العقلية عليك أن تؤمن بها حتى تصير ملحدًا

فالإلحاد مبناه على الإيمان أيضًا، لكن إيمان بلا أثارة من علمٍ أو نقل.

٢٧- بما أن الله يعلم أن هناك أشخاص سيلحدون فلماذا خلقهم؟

انظر إلى قول الله عز وجل﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ ﴾ [الزخرف:٥].

هل بما أنكم ستكفرون في علم الله إذن لا يخلقكم الله؟

ما هذا التصور السخيف؟

الذي يستحق المؤاخذة والعقاب من العدل أن يُخلق ثم يذهب لما يستحق!

إذا كان الملحد يستحق الكفر في علم الله فما المانع من خلقه ثم محاسبته ؟

هل بما أنه سيكفر إذن يريحه ولا يخلقه ؟

أليس هذا محض تحكم وافتراض ساذج؟

إذا كان الملحد يستحق الخلود في النار فمن العدل أن يذهب لما يستحق.

ثم إن معيارنا للحكم على العدل ليس معيار مطلق، بل معيار محدود بحدود طبيعتنا البشرية، والعدل المطلق هو الله سبحانه وتعالى وأخبر أنه لن يظلم عباده ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق:٢٩].

فيكون هذا هو المرجع فيما قصرنا عن استيعابه، وهذا أسلم عقلاً، لأن أصل الكفر هو التكذيب بما لم نحط بعلمه﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ ﴾ [يونس:٣٩].

٢٨- هل علم الله بأن فلانًا سيُلحد هو جبرٌ له على الإلحاد؟

✍ علم الله بما سيقع ليس جبرًا.

تخيل أستاذًا دخل أحد الفصول وقبل نهاية العام قال هيثم سينجح وفلان سيفشل بحكم خبرته ومعرفته بمستوى طلبته، وكتب توقعاته تلك في كتابٍ عنده، وكانت النتيجة كما قال وكتب.

هل نقول أن معرفته بنتيجة الطلبة كانت جبرًا لهم؟

هل نقول أن كتابته لما توقعه إكراه؟

ولله المثل الأعلى.

فالله سبحانه أخبر أنه عليم وفي نفس الوقت أثبت لنا المشيئة وحرية الاختيار﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التكوير:٢٨].

وقال سبحانه: ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البلد:١٠].

فمعرفة الله بما سيقع ليس جبرًا لنا.

فالله عز وجل أراد أن تكون لنا إراده وأراد أن نختار ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان:٣].

والله هو مَن قال أنه يعلم كل شيء وفي نفس الوقت قال: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [الليل: ٥-١٠].

وأيضًا قال سبحانه ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾ [البلد:١٠].

أما كون الملحد يريد أن يجعل من علم الله مانعًا لإرداة الإنسان فهو بذلك يُعطل أحد أفعال الله على حساب فعل آخر وهذا حال كل كافر حتى يستقيم له كفره، أما المسلم فيُسلم بكل أفعال الله وأنها كلها واقعة.

٢٩- لماذا خلق الله الشر؟ أو بمعنى آخر: كيف يرد المسلم على "معضلة الشر"؟

✍ معضلة الشر هي معضلة نصرانية لا علاقة لها بالإسلام، فمن الخطأ نقل الإشكالات الكنسية الغربية إلى ثقافتنا الإسلامية.

ففي التراث النصراني المحرف جاء يسوع من أجل الخطيئة الأصلية التي ارتكبها آدم والتي كانت سببًا في كل الشر في العالم، وقام يسوع بتكفير هذه الخطيئة عبر الفداء والصلب على الصليب، وبالتالي فالمفترض أن ينتهي الشر من العالم لأن يسوع المحبة افتدانا، والمفترض أن تختفي آثار الخطيئة الأصلية التي كانت مصدرًا لكل الشر في العالم.

لكن الشر والبلاء والمصائب ما زالت موجودة، وبنفس الوتيرة التي كانت عليها قبل صلب يسوع!

إذن أين المحبة؟ أين الفداء؟

هذه الإشكالية الكبرى هي مصدر "معضلة الشر" في العقل الغربي النصراني المعاصر!

ما علاقة المسلمين بكل هذا؟

ما علاقة عقيدة جميع الأنبياء بكل هذا الهراء؟

الشر في الإسلام وفي شرائع الأنبياء لأننا مُكلفون.

لأننا في عالم اختباري!

انتهى.

﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ﴾ [الأنبياء:٣٥].

والمسيح عليه السلام لم يأتِ من أجل خطيئة آدم، والأناجيل الأربعة التي بين أيدي النصارى اليوم لم ترد فيها كلمة "آدم" ولو لمرةٍ واحدة، وخطيئة آدم رفعها الله بتوبته "فتاب عليه" ولم يرث أحد من البشر خطيئةً من آدم ولا من غيره ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ [النجم:٣٨].

هذه هي عقيدة الأنبياء.

ونحن هنا لأننا مكلفون لا أكثر ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ ﴾ [الملك: ٢].

والشر أمر طبيعي في إطار التكليف!

بل من المدهش أن وجود الشر هو أكبر دليل على صحة القضية الدينية وعلى خطأ الإلحاد.

إذ أننا لو كنا أبناء العالم المادي لما استوعبنا لا الخير ولا الشر، لأننا طبقًا للرؤية الإلحادية نسير في حتمياتٍ ماديةٍ صارمة.

فاستيعاب الشر يعني أننا لسنا أبناء هذا العالم، وأننا نستمد استيعابنا لوجود الشر من مقدمةٍ أخرى غير المقدمة المادية الداروينية للوجود!

وعدم إدراكنا لبعض دقائق الحكمة الإلهية في مسألة البلاء -وليس الشر لأنه لا يوجد شر محض في الوجود- هذا أمر بديهي، يقول ديكارت في كتابه التأملات: «ليس لدي أدنى سبب يجعلني أتذمر من أن الله لم يمنحني قدرة أعظم على الفهم».

فقوام التكليف على الحكمة وقوام الحكمة على الخفاء!

وقد جلَّى الله الحِكمة من أفعال الخضر لسيدنا موسى -عليه السلام-، مع أنها أفعالٌ تُعد ظاهريًا مُنكرة وغير مستساغة، لكنها تكتنف على خيرٍ عظيم، وقصة موسى والخضر لم تأت في القرآن من باب السرد والحكايا، لكن من باب التدبر والإقرار بقصور النفس البشرية وحكمها المُتعجل.

وحياتنا الدنيا هي مقدمة لخلودٍ أبدي، ولذا فأقسى آلام القتل يتمنى الشهيد أن يعود إليها بعد أن رأى أن هذه الخطوات القليلة من الألم هي مفتاح نعيم ورضا لا ينفد.

فسبحان القيوم المدّبّر!

٣٠- هل تسبب الدين في الحروب الدينية التي سادت الأرض في فترة من الفترات؟

عاشت البشرية مع شرائع التوحيد آلاف السنين، ومع الشرائع الإبراهيمية الثلاث الكبرى أربعة آلاف سنة، ولم يمثل الدين خطرًا مباشرًا على الجنس البشري بل قدّم للبشرية قيمًا أخلاقيةً عليا يتفق عليها المؤمن والملحد، وأسّس لحضاراتٍ أصيلة، بل يمكن أن نزعم أن كل خير في الأرض هو من آثار تلك النبوات!

فقد أراح الدين المحاكم من آلاف القضايا، وفوق كل هذا وذاك وضع الدين الأساس المعرفي والسلوكي والقيمي لغاية الوجود الإنساني على الأرض!

والدول التي احتضنت الشرائع التوحيدية ما زالت إلى اليوم تملك تنوعًا ثقافيًا أبقى على المخالفين لهم ووفّر لهم سقف حماية بموجب الشرائع التوحيدية ذاتها.

في حين أن قرن واحد اقتربت فيه بعض الدول من الإلحاد كانت البشرية كلها على شفير هلاك!

ثم يأتي الآن الملاحدة ويحدثونا عن خطر الدين على البشرية!

فلم يعرف التاريخ البشري منهجًا أخطر من الإلحاد، فلم تكن مذابح الكولاج في الإتحاد السوفيتي السابق على يد الملحد لينين، وإبادة الأقليات الأثنية في ألمانيا النازية، وتفريغ ربع سكان كمبوديا من البشر على يد الملحد Pol Pot، وقتل ٥٢ مليون صيني في الثورة الثقافية الكبرى على يد الملحد ماو تسي تونج Mao Zedong، وظهور رابطة الملحدين العسكرية League of Militant Atheists في أوربا والتي أغلقت رسميًا ٤٢ ألف مؤسسة دينية –كنائس ومساجد–، وقتلت عشرات الآلاف من المتدينين، إلا إفرازات إلحادية صرفة[١].

---

(١) - https://en.wikipedia.org/wiki/League_of_Militant_Atheists

بل إن الحربين العالميتين الأولى والثانية كانتا حروبًا علمانية –علمانية، تحكمهما تصورات إلحادية للأجناس البشرية وخرافات السعي نحو النقاء العرقي، فكانت النتيجة إبادة قرابة ٥٪ من سكان العالم وأرجعت كلاً من المنتصر والمهزوم ثلث قرن إلى الوراء، وقام الفلاسفة بوضع مبولة في وسط باريس كنايةً عن نهاية الحضارة.

وخلّفت المعارك الإلحادية ترسانات من الأسلحة النووية تكفي لإزالة الجنس البشري كله مراتٍ عديدة.

إن قراءة بسيطة لحروب القرن العشرين تُظهر مدى بؤس الإلحاد.

فقد خلّف الإلحاد ورائه فكرة أن زوال الجنس البشري في أية معركة قادمة هي فكرة قائمة، هذا هو الإفراز الإلحادي المتوقع.

٣١- لكن ألا يوجد الرِق أو السبي في الجهاد الإسلامي؟

الاسترقاق في الإسلام بعكس الثقافات الرومانية القديمة وبعكس التدليس العلماني المعاصر.

الاسترقاق في الإسلام رحمة بالمرأة.

لأن المرأة التي جائت في جيش العدو وتريد استئصال شأفتك لا يجوز لك أن تقاتلها.

فالمرأة لا تُقتل –إلا لو باشرت قتلك–، لأن الإسلام لا يُجيز لك قتل النساء ولا الصبيان(١).

ولا يجيز كذلك قتل الشيوخ ولا أصحاب الحرف ولا الرهبان(٢).

مع أن هؤلاء جميعًا جاؤوا في جيش العدو وفي ساحة المعركة، ومع ذلك لا يجوز التعرض لأحدٍ منهم إلا لو باشر قتلك بيده.

---

(١) صحيح البخاري حديث رقم٣٠١٤ .

(٢) السنن الكبرى ج٩ ص٩٠.

فمن رحمة الإسلام بالمرأة أنها لا تُقتل -لأنها ضعيفة ولا تباشر قتل المسلمين في الغالب- بل تُسبى.

والمرأة تُسبى حتى يتم فدائها بأسيرات المسلمين أو العفو عنها وإعادتها للعدو بلا مقابل﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا ﴾.

ولاحظ قوله تعالى: حتى تضع الحرب أوزارها، يعني في أرض المعركة، ولاحظ إما منًّا بعد: أي تمُن عليها بأن تُطلق سراحها بلا مقابل، وإما فداء: أي تفديها بالمسلمات اللاتي أسرهن العدو.

لكن هل يجوز نكاح المسبية؟

لا يجوز وطء المشركات، وهذا الذي عليه جماهير أهل العلم، وهو مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد، قال ابن قدامة في المغني: «أن من حرم نكاح حرائرهم من المجوسيات وسائر الكوافر سوى أهل الكتاب لا يباح وطء الإماء منهن بملك اليمين».

وقال ابن عبد البر: «على هذا جماعة فقهاء الأمصار وجمهور العلماء وما خالفه فشذوذ».

قال النووي: «المسبية من عبدة الأوثان وغيرهم من الكفار الذين لا كتاب لهم لا يحل وطؤها بملك اليمين حتى تسلم، فما دامت على دينها فهي محرمة»[١].

فلو كان الأمر شهوة، ما حرُم وطء المشركة.

بل إذا قام أحد المسلمين باغتصاب مسبية سواءً كانت مشركة أو غير مشركة أُقيم عليه حد الزنا[٢].

---

(١) http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaI d&Id=٥٠٩٠٢

(٢) الأم للشافعي٢٥٣.

ولو كانت المسبية من غير المشركين فلها صورة عقد نكاح، تختلف عن عقد نكاح الزوجة، فالزوجة لها شرط الاختيار فيمن يتقدم لها، أما امرأة مقاتلة جائت مع جيش العدو وتم سبيها فهذه ليس لها شرط اختيار من يتقدم لها.

هذا غاية ما في مسألة الرق والسبي.

۞ ٣٢- وماذا عن الحدود -حد السرقة كمثال-؟

✍ القضية ليست لمجرد السرقة بل لما يقترن بها.

ففي الحديث الصحيح قال رسول الله ﷺ: «**لا يُقطع الخائن ولا المنتهب ولا المختلس**»[(١)].

فحد السرقة ليس لمجرد أخذ المال وإنما لما يترتب على السرقة من جناية قد تُعرض للقتل وارتكاب أكبر الجرائم.

فلو انتهب إنسان شيء مما في يده كالحارس والخازن فلا قطع عليه.

ولو سرق إنسان ثمر من شجر فلا قطع عليه: «**لا قطع في ثمرٍ ولا كثر**»[(٢)].

وفي موطأ الإمام مالك بسندٍ مرسلٍ صحيح: «**لا قطع في ثمر معلق، ولا في حريسة جبل**»[(٣)].

وحريسة الجبل الماشية التي تحرس في الجبل راعيةً فالجبل ليس بحرزٍ لها يمنعها.

والله أعلم

وفي السنن الكبرى للبيهقي قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ليس على من سرق من بيت المال قطع»[(٤)].

---

(١) سنن ابن ماجة٢-٨٦٤، حكم الألباني: صحيح

(٢) سنن الترمذي ٤-٥٢، بسند صحيح

(٣) صححه الألباني في إرواء الغليل ٨-٧١.

(٤) قال الألباني في إرواء الغليل٨-٧٧ رجاله رجال الصحيح.

فليست القضية لمجرد السرقة وإلا لقُطعت يد الذي ينتهب والذي يختلس والذي يخون.

لكن لما كان غالب حال هؤلاء الثلاثة أنهم يقومون بجريمتهم دون تعريض أرواح الآمنين للخطر، لم تقترن بحد.

ولمّا كانت سرقة الثمر وحريسة الجبل مع ارتفاع ثمنها بعيدة عن تعريض الآمنين لخطر السارق لم يقم الحد.

وعن ابن أبي ليلى في رجلٍ سرق من الكعبة قال: «ليس عليه قطع»[١].

ولو سرق إنسانٌ وأتى مُقرًا بجريمته فهل تُقطع يده؟

الجواب: القاضي يطرده!

نعم يطرده.

فقد أُتي النبيَّ ﷺ بلصٍّ قد اعترف اعترافًا ولم يوجدْ معه متاعٌ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما إِخالُكَ سرقتَ**» قال بلى فأعاد عليه مرَّتَينِ أو ثلاثًا»[٢].

وأخرج البيهقي بسندٍ صحيحٍ أن: «رجلاً أتى عليًا رضي الله عنه وقال له إني سرقت، فطرده»![٣].

وقال أبو الدرداء لامرأةٍ قد سرقت: «سلامةُ أسرقتِ؟ قولي: لا»[٤].

وعن عطاء يقول: «كان من مضى يؤتى بالسارق فيقول: أسرقتَ؟ قل: لا. ولا أعلم إلا سمّى أبا بكرٍ وعمر»[٥].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة٢٩٠١٠.

(٢) سنن أبي داوود ٤-١٣٤ والحديث فيه مقال لكن له شواهد.

(٣) صححه الألباني في الإرواء ٨-٨٧

(٤) إرواء الغليل بسندٍ جيد ٨-٧٩

(٥) قال الألباني في الإرواء إسناده صحيح إلى عطاء ٨-٧٩.

وقد صنّف ابن أبي شيبة في مصنفه باب: في الرجل يؤتى به فيقال له أسرقتَ؟ قل: لا.

عن أبي مسعودٍ قال: أُتي برجلٍ سرق. فقال: أسرقت؟ قل وجدته، قال: وجدته، فخلى سبيله[(١)].

وعن أبي متوكل أن أبا هريرة أُتي بسارق وهو يومئذٍ أمير فقال: أسرقت؟ أسرقت؟ قل: لا قل: لا مرتين أو ثلاثًا[(٢)].

وعن غالبٍ أبي الهُذيل: قال سمعت سبيعًا أبا سالمٍ يقول: شهدت الحسن بن عليٍ وأُتي برجلٍ أقر بسرقةٍ فقال له الحسن: «لعلك اختلست لكي يقول: لا»[(٣)].

وعن عكرمة بن خالدٍ، قال: أُتي عمر بسارق قد اعترف، فقال عمر: «إني لأرى يد الرجل ما هي بيد سارق"، فقال الرجل: والله ما أنا بسارق، فأرسله عمر ولم يقطعه[(٤)].

۞٣٣- وماذا عن حد الزنا ورجم إنسان وإزهاق روحه؟

✍ الذي لا يقبل بإزهاق نفسٍ واحدة ارتكبت جريمة الزنا وهي محصنة، هو في المقابل يضطر للسماح بإزهاق مليون نفس سنوياً.

فسنويًا يتم إجهاض مليون طفل غير مرغوب فيهم في أمريكا وحدها![(٥)].

وهذا من بلايا الزنا وتبعاته!

لكن هذه الأجنة لا تملك منظمات حقوقية ولا أبواق إعلامية فتم التراضي على إزهاقها في صمتٍ تام.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة حديث رقم ٢٨٥٧٥.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة حديث رقم ٢٨٥٧٦.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة حديث رقم ٢٨٥٧٨

(٤) مصنف ابن أبي شيبة حديث رقم ٢٨٥٧٩

(٥) http://www.cdc.gov/mmwr/preview/mmwrhtml/ss٥٥١١a١.htm.

۞٣٤- لكن لنفترض أن شخصًا متزوجًا زنا ثم تاب إلى الله فهل تُزهق روحه ويُرجم؟

✍ الأصل هو حماية المجتمع وليس إزهاق الأنفس.

قال النبي ﷺ : «**اجتبوا هذه القاذورات التي نهى الله تعالى عنها، فمن ألم بشيءٍ منها فليتب إلى الله وليستتر بستر الله تعالى**».

والنبي ﷺ حين طرد ماعزًا الذي جاء معترفًا بالزنا ثلاث مرات، كل مرة يطرده ويرده إلى رحله.

وقال للغامدية التي جائت معترفةً بالزنا والحديث في صحيح مسلم: «**ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه**».

فالذي يتوب إلى الله فلا مشكلة للمجتمع معه، فقد كُفي المجتمع شره.

ومثل هذا لو جاء للقاضي طلبًا لإقامة الحد فالقاضي يعرض عنه ويطرده.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «اطردوا المعترفين»[1].

وفي سنن أبي داوود أنه ﷺ بعد أن رد المرأة الغامدية عادت فقال لها ارجعي . فرجعت، فلما كان الغد أتته، فقالت: لعلك أن تردني كما رددت ماعز بن مالك ! فوالله إني لحبلى . فقال لها: «**ارجعي**» فرجعت، فلما كان الغد أتته، فقال لها: «**ارجعي حتى تلدي. فرجعت**»، فلما ولدت أتته بالصبي فقالت: هذا قد ولدته، فقال لها: «**ارجعي فأرضعيه حتى تفطميه**»[2].

ولاحظ قوله ﷺ بعد قولها أنها حبلى: فقالت: لعلك أن تردني كما رددت ماعز بن مالك».

ولو لم ترجع الغامدية إلى رسول الله ﷺ ما طلبها.

(١) السلسلة الصحيحة للألباني ٥- ٣١٧.

(٢) سنن أبي داوود ٤٤٤٢، حديث صالح.

عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه: كنّا أصحاب رسول الله ﷺ نتحدث أن: الغامدية وماعز بن مالك لو رجعا بعد اعترافهِما أو قال: لو لم يرجعا بعد اعترافهما لم يطلبهما[١].

فالإسلام لا يتشوق ويسعى إلى تنفيذ الحدود بل يبحث لها عن كل مخرج.

فالهدف إصلاح المجتمع لا بتره.

٣٥- لماذا ترفضون التعايش مع الملحدين؟

هذا السؤال أجابت عنه الدول التي عاشرت الملحدين، واليوم لهذه الدول خبرة كبيرة في هذا الأمر ولننظر إلى ماذا انتهوا في هذه القضية!

نشرت المجلة العلمية العملاقة "الأمريكي العلمي Scientific American" بحثًا عن مدى كراهية المواطن الأمريكي للملحدين، وكان عنوان البحث يشي بالأمر فعنونت المجلة بحثها بالتالي: «نحن لا نثق في الملحدين In Atheists We Distrust».

وبيّنت المجلة أن أغلب الشعب الأمريكي لا يطيق الملحدين ولا يقبل أن يكونوا حتى معلمين لأبنائهم![٢].

وتحرّت المجلة كيف أن استهجان المواطن الأمريكي للملحدين هو الموقف السائد سواءً أُعلن في قراراتٍ رسمية –كما سيأتي بيانه– أو أُضمر في قلب الشعب الأمريكي!

---

(١) ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث ٦-٧٩٣، ويشهد له الحديث في مسند أحمد ٣٨-٢٧.

(٢)http://www.scientificamerican.com/article/in-atheists-we-distrust/

(موقع الأمريكي العلمي هو موقع علمي قوي وشهير عالميًا)

وفي تقريرٍ منفصل قامت به جريدة الواشنطون بوست Washington Post في العام ٢٠١١ في رصد لأكثر طائفة مكروهة في أمريكا على الإطلاق، تبيّن أن الملحد صاحب المرتبة الأعلى في الكراهية من بين جموع الشعب الأمريكي حصريًا[١] .

وقبل هذا التقرير بفترة قصيرة كانت جامعة مانيسوتا الأمريكية University of Minnesota قد أجرت بحثًا مستقلاً على مدار سنتين عن المسلمين المتطرفين والشواذ جنسيًا والملحدين، ومَن الذي يخشاه المواطن الأمريكي على نفسه؟

وتبين أن المسلم المتطرف والشاذ جنسيًا أقرب للأمريكي من الملحد[٢] .

قد تكون هذه التقارير البحثية مدهشة للكثيرين، والأكثر داهشية أن يكون لهذه التقارير سندًا على أرض الواقع في صورة قوانين تؤكد رسميًا احتقار الملحد في الدول الغربية وازدراؤه.

فأحد أسس دساتير الولايات الأمريكية ألا يتولى الملحد أي منصبٍ على الإطلاق، لأن الذي ينكر وجود الله لا قيمة لعهده ولا ضمان لأمانته كما يقول جون لوك John Locke مؤسس الدولة المدنية في رسالته في التسامح حيث قال: «لا يمكن التسامح على الإطلاق مع الذين ينكرون وجود الله، فالوعد والعهد والقسم من حيث هي روابط المجتمع البشري ليس لها قيمة بالنسبة الى الملحد، فإنكار الله حتى لو كان بالفكر فقط يفكك جميع الأشياء». [٣] .

-(١)http://www.washingtonpost.com/opinions/why-do-americans-still-dislike-atheists/١٨/٠٢/٢٠١١/AFqgnwGF_story_١.html

(الواشنطون بوست واحدة من أشهر الصحف العالمية)

(٢)http://newsjunkiepost.com/٢٠٠٩/٠٩/١٩-research-finds-that-atheists-are-most-hated-and-distrusted-minority/

(٣) - جون لوك، رسالة في التسامح ص٥٧

وإذا كانت هذه نظرة مؤسس الدولة المدنية في الغرب، فكيف بجموع الشعب؟

إن نظرة أولية إلى دساتير الولايات الأمريكية تعطي صدمة لكل ملحد عربي يتبجح بطلب حقوقه في بلادنا العربية، إن رصد مواد الدساتير الغربية تعكس مدى إدراك هؤلاء لخطر الملحدين ومحاولة استبعادهم قدر الإمكان عن الحياة العامة.

ففي دستور ولاية أركنساس Arkansas State Constitution الفصل التاسع عشر المادة الأولى: «لا يحق لأي ملحد تولي أي منصب إداري في الولاية، ولا يكون أهلاً للشهادة في المحكمة».

ثم قلِّب في دستور ولاية نورث كارولينا North Carolina's State Constitution لتتبين كيف أنه ينص في الفصل السادس المادة الثامنة أن الملحد فاقد للأهلية!

ثم ارجع الطرف إلى دستور ولاية بنسلفانيا Pennsylvania's State Constitution في الفصل الأول مادة أربعة لترى كيف أن الملحد ليس أهلاً للثقة وعليه فلا يحق له إنشاء أية مؤسسة ربحية.

إن الدساتير الغربية طافحة بالمواد الدستورية الرصينة التي ترفض تواجد ملحد بينهم؛ انظر إلى دستور ولاية ساوث كارولينا South Carolina الفصل السادس المادة الثانية، ودستور ولاية تينيسي Tennessee الفصل التاسع الفقرة الثانية، ودستور ولاية تكساس Texas الفصل الأول الفقرة الرابعة وكلها تشترط أن الإيمان بالله شرط بديهي للثقة وتولي منصبٍ إداري.

فأمريكا أقوى دولة علمية في العالم ما زالت تصنف الملاحدة على أنهم غير مقبولين في المجتمع الأمريكي، وكان هذا واضحًا جدًا بصفة رسمية في الكلمة التي قالها جورج بوش الأب حين سأله صحفي أمريكي في عام ١٩٨٧ " هل يمكن اعتبار الملحد الأمريكي متساوياً في الجنسية والمواطنة مع غيره من الأمريكان؟

وأصبح رد بوش مشهوراً في ذلك الوقت حين قال: «لا أعرف إذا كان من الممكن اعتبار أن الملحدين مواطنون أو حتى اعتبارهم محبين للوطن؛ هذه أمة موحدة تحت راية الله».

إذن الغرب أكثر خبرةً منّا بالملحدين وبطبيعتهم، ويعلم أن في وجودهم مشكلة حقيقية فلا قيمة عند الملحدين للعهد ولا للقسم وهي أسس أي مجتمع وأي قضاء وأي دستور.

فالغرب يرفض الملحدين بسبب ما يثيرونه من مشاكل، فمعقِد الولاء والبراء عند الغرب هو المصلحة والنفعية أما عندنا فمعقد الولاء والبراء هو الدين، فرفضنا للملحد نابع من ديننا الذي يحضنا على إعلاء كلمة الله وعلى إصلاح الشباب وعدم تركهم تتخبطهم أمواج الشبهات.

٣٦- ما هي حجج الملحدين في وجه الأدلة الدينية؟

الإلحاد لم يقدم أي شيء أمام آطنان الأدلة التي يقدمها المؤمن.

الإلحاد لا يملك أي شيء ولا يقدم أية حجة ولا يستشفع بأي أصل.

غاية الملحد هي سفسطة أدلة المؤمن لا أكثر.

ومع هذا الإفلاس التام بعض الناس يعتقد بالإلحاد ويدّعيه ويقول "أنا ملحد"، وهذا من عجائب زماننا وغرائبه التي لا تنقضي!

٣٧- ما هي الأسئلة التي لن يجيبني عنها ملحد؟

أ- كيف ظهر الوجود من اللازمان واللامكان؟

كيف يزعم الملحد أن إلحاده صحيح ولحظة بداية الوجود دليل خلق وإبداع وإيجاد؟

ب- كيف انتقلت اللاحياة إلى حياة؟

كيف انتقلت المادة الميتة إلى خلايا حية؟

في حين أننا اليوم وفي قمة تقانتنا وجامعاتنا العملاقة لا نستطيع أن ننشيء أبسط صور الحياة، فكيف ننسب ظهور الحياة إلى المادة الميتة العمياء؟

ألم يكن الأولى بنا اليوم أن نُنتج حياة تفوق الحياة التي أظهرتها المادة الميتة العمياء بملايين المرات؟

ج- كيف يستطيع الملحد من خلال إلحاده أن يدافع عن إبادة أهل الأرض جميعًا؟

ما هو المستند العقلي أو المادي أو العلمي الذي يقدمه بحيث يؤكد أن إبادة أهل الأرض جميعًا خطأ؟

فالعالم المادي لا يعرف الخطأ ولا الصواب؟

إذن تستوي إبادة أهل الأرض جميعًا بإحيائهم إلحاديًا.

د- يفترض الإلحاد أن البشر مجرد حيوانات جاءت في سلسلة تطور من كائنات أدنى!

ماذا لو ظهر كائن أرقى؟

هل يحق له إدخال البشر أقفاص الحيوانات وأن يستخدمهم في تجاربه الدوائية؟

الإجابة الصريحة من واقع المادة والداروينية هي: نعم

وهذا يقضي على أي أمل في حماية الإنسان أو توفير معنى أو غاية لوجوده داخل الإلحاد.

فالإلحاد هنا يعجز عن تفسير حقيقة الإنسان!

هـ- ماذا لو أثبت التطور أن عِرقًا بشريًا أرقى من عرقٍ آخر، هل يحق للأرقى تحويل الأدنى إلى مادة مستعملة، كما نتعامل مع الحشرات والحيوانات الأدنى تطوريًا؟

إجابة الداروينية المادية هي: نعم

وهذا يضمن انهيار الإلحاد داخل العقول السوية والأنفس المفطورة على أن التمايز بين البشر هو بالتقوى لا بلون الجلد ولا بكفاءة العضلات.

و- يفترض الملحد أن الأخلاق نسبية — أي تحتمل أكثر من وجه؛ فمثلاً الأمانة قد تكون أفضل من الخيانة وقد تكون الخيانة أفضل من الأمانة- ثم حين يأتي بشبهاته فإنه يقرر مسبقًا أنها مطلقة-لا تحتمل إلا وجهًا واحدًا الأمانة أفضل من الخيانة-، لأنه لو كانت

الأخلاق نسبية فليس للشبهة معنىً، لأنه ساعتها لن يستطيع أن يقرر أن هناك مخالفة لمعيار أخلاقي.

وهذا تناقض ظاهر فهل الأخلاق نسبية أم مطلقة؟

فلو كانت مطلقة لانتهى إلحاده لأن هذا يعني أن الأخلاق تحمل غائية وجودية كبرى —إرادة الله والتكليف الإلهي-.

ولو كانت نسبية فهذا يعني أنه لا يصح للملحد أن يأتي بشبهة ولا أن يستوعب وجود شبهة أصلاً!

ز- كيف ظهرت الثوابت الفيزيائية المدهشة التي بدأ بها الكون؟

الثوابت الفيزيائية هي فرق في قياسات الطاقة في المادة التي ظهر منها الكون، وهذا الفرق دقيق للغاية ولو اختل ما ظهر الكون.

مثال على ذلك: الثابت الكوني Cosmological constant الذي لو اختلفت قيمته بأقل من جزء من صفر يليه ١٢٣ صفر ثم ١ من الواحد لانهار الكون بأكمله.

هذا ثابت فيزيائي يؤكد وجود ضبط ودقة وعظيم صنع؛ والثوابت الفيزيائية كثيرة وكلها دقيقة ومدهشة.

ح- كيف ظهر نظام التشفير داخل خلايا الكائنات الحية —الجينوم-؟

فمن المعلوم أن التشفير لابد له من مشفر، ووضع معلومة داخل الجينوم تهدف لرمز معين يؤدي وظيفة محددة —تكوين العين مثلاً- هذا أمر لا يقوم به إلا صانع قادر حكيم، فالمعلومة هي معلومة.

ط- كيف تبرر وجود الأخلاق والمعنى والقيمة من خلال الإلحاد؟

فالإلحاد يعتبر العالم مجرد ذرات متلاطمة بلا معنى ولا غاية.

وهذا أكبر دافع لتسميم الأخلاق وتدمير معنى الآخلاق.

فإذا كانت الأخلاق موجودة فالإلحاد غير صحيح.

ي- ملخص الاستدلال ضد الإلحاد:

بما أن هناك ضوء إذن بالإدراك العقلي المباشر هناك مصدر للضوء.

بما أن هناك ظل إذن هناك جسم.

بما أن هناك موجودات متقنة من الكوارك إلى المجرة إذن هناك موجِد.

هذا هو الاستدلال القرآني وهو أيسر الاستدلالات وأقلها في الخطوات.

ولذلك قال الله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٦٩-٧٠]».

أنى تُصرفون؟

وإلى أي دليل مقابل تلجئون؟

فليس أمام الملحد إلا العماء والعدم والعبث والإيمان بالمحالات.

٣٨- لماذا تخلف المسلمون رغم دينهم الحنيف والغرب الكافر مُتقدمٌ جدًا؟

هذا هو سؤال الحضارة!

وكم عانى الأنبياء في مواجهة هذا السؤال.

وكم تفلّت الأتباع وكم بخعت أنفس الرسل حزنًا على كثرة تفلّت أممهم.

فسؤال الحضارة هو أصل كفر الأمم عبر العصور.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ ﴾ [مريم:٧٣].

فإذا تُليت الآيات التي فيها الحجج والبراهين على الكافرين، نكص هؤلاء الكافرون بحجة أن هناك أممًا أرقى ماديًا من المؤمنين وأحسن نديًا.

يقول الباحث إبراهيم السكران –حفظه الله-: «وهذا قانون تاريخي وسنة كونية متكررة لاينتهي العجب من تأمل أرشيفها الطاعن في العمر، فجمهور المبلغين عن الله منذ فجر النبوات وحتى لحظة العمل الإسلامي المعاصر يواجهون دوماً "قوى مادية" تفوقهم وتفتن الناس عن اتباع الوحي الذي معهم.

وانظر في تجارب الأنبياء وما انطوت عليه من الخبرات الدعوية، ستجدها تكاد أن تكون جميعًا تمثالاً ناطقاً للصراع بين داعي "الوحي الإلهي" وفتنة "القوة المادية"، وستجد افتتان الناس بالقوة المادية يخلب ألبابهم ويعشي أبصارهم ويصرفهم عن الانصياع والاستسلام للوحي، وستجد العاملين للدين يعانون الأمرَّين من افتتان الناس بالمظاهر المادية.

فالرسول الأول نوح عليه السلام قال له قومه بكل صراحة مادية: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ [هود:٢٧].

ويتحدث القرآن عن قوة الكافرين المادية ويصف قصورهم ومنشآتهم الضخمة وبطشهم العسكري في سورة الشعراء فيقول سبحانه: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الشعراء: ١٢٧-١٣٠].

وما أن يظهر نبي الله موسى في أثناء "الحضارة الفرعونية" بكامل وزنها التاريخي وإمكانياتها الإمبراطورية، ليتكرر من جديد مسلسل طغيان القوة المدنية وغرورها أمام الوحي.

ولاينقضي العجب من عمق فهم نبي الله موسى وملاحظته كيف فتنت الحضارة الفرعونية وقوتها المدنية الناس، وكيف صرفتهم عن الاستسلام للوحي، فيُعبر كليم الله موسى عن هذا القانون التاريخي لأعظم تحدٍّ يواجه الدعوات كما في قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ﴾ [يونس:٨٨].

ولم يكن الحال جديداً بالنسبة لنبينا محمدٍ ﷺ فقد كان الجاحدون لنبوته والوحي الذي معه يتعلقون في الإعراض عنه بضعفه المادي، وأنه لا يتمتع بمظاهر القوة والرفاة كما يتمتع بها بعض اللامعين في منطقة الحجاز، ورأوا أنه لا يليق الخضوع لنبي إلا إن كان من أشراف الطبقة الارستقراطية في عاصمتي الحجاز وهما مكة والطائف كما قال تعالى عنهم في سورة الزخرف: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف:٣١]»(١).

انتهى كلامه.

فما ابتلي البشر عبر العصور وعبر تاريخ النبوات ببلاءٍ أكثر من الافتتان بالقوة المادية للمنافس.

---

(١) مآلات الخطاب المدني، إبراهيم السكران، بتصرف.

ولم يدرك هؤلاء أنه لا علاقة بين تقدم الغرب وبين صحة المبدأ الديني.

فالتقدم العلمي مثلاً قرين بمن يدفع أكثر، مَن يُموِّل!

فلا تطلب أكثر لمجرد كونك مُسلم!

ولا تطلب إهلاك القرى لمجرد أنها كافرة ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود:١١٧].

هذه هي القضية.

فالذي يتوقع أن ننتصر بما نحن فيه من بلادةٍ فقط لأننا مسلمون، وأن يُهزم الغرب بما هم فيه من مثابرة وجدٍ فقط لأنهم كافرون هو أبعد الناس عن فهم سنن الله في كونه، وآياته في كتابه، فقد دلت نصوص الكتاب العزيز أن إهلاك الظالمين إنّما يكون بالعدل والقسط لا بالظّلم والجور ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ ﴾ [المؤمنون:٤١]، أي بالعدل لا بالظّلم.

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٨-٢٠٩].

فنزّه الله تعالى ذاته المقدّسة عن الظّلم؛ لكمال عدله في أخذه وعقابه؛ فلا يصيب بعذابه إلاّ من عتا وتمرّد وظلم.

ومن أجل ذلك فقد ذهب القرطبي في تفسيره إلى أنّ الشِّرك لا يكون وحده سببًا لإهلاك الأمم حتَّى يقترن به إفسادٌ في الأرض، أو تظالمٌ بين العباد؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود:١١٧].

هذه سنة الله في كونه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً!

فالتقدم المادي والتأخر لا علاقة لهما بمَن معه الحق أو الباطل.

٣٩- كيف علمت أن محمدًا ﷺ رسول من عند الله؟

دلائل الإعجاز تفيد التواتر المعنوي.

فأرسطو فيلسوف بمجموع أعماله وليس بجملةٍ قالها أو تحليلٍ فلسفيٍ أجراه.

وأبوقراط طبيب بمجموع مشاريعه الطبية وليس بجراحةٍ قام بها.

وكذلك دلائل الاعجاز المنقولة تفيد التواتر المعنوي بأنه نبي ﷺ.

أخبر ﷺ في ليلةٍ من الليالي بأن ريح شديدة ستهب ونهى الناس عن القيام فقام رجل فحملته الريح وألقته في مكان بعيد عن مكانه[١].

وأخبر ﷺ بموت النجاشي في اليوم الذي مات فيه وصلى عليه أربعًا[٢].

وأخبر النبي ﷺ بشهادة عمرَ وعثمانَ وعلي وطلحة والزبير -رضي الله عنهم أجمعين-، وأنهم لن يموتوا على فُرُشِهم أو سواه مما يموت به الناس.

فقد صعد رسول الله ﷺ على حراء ذات يوم هو وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليُ وطلحةُ والزبيرُ، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «**اهدأ، فما عليك إلا نبيٌ أو صديقٌ أو شهيد**»[٣].

وهناك ١٥٠ حديث دعا فيهم النبي ﷺ ربه وأُجيب في الحال والناس يشهدون![٤].

فالاطراد في الصدق مع الكثرة في تنوع الدلائل والإخبار بالمغيبات مع توافق العقيدة مع عقيدة الأنبياء مع ضبط أخطاء المحرفين في الديانات السابقة كل هذا يفيد التواتر المعنوي بصحة الرسالة.

وإذا نظرت في سيرته ووجدته صادقًا وقد اشتهر بالصدق باعتراف أشد الناس له عداوةً، ولم يُرم بكذبٍ ولا فجورٍ، ثم وجدته يتحدى أهل الدنيا بكتابه فما يجدون إلا السيف ليسكتوه به، فلابد أنه نبي إذن.

---

(١) صحيح مسلم حديث رقم ٣٣١٩.

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم ١٣٣٣

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم ٢٤١٧.

(٤) جمع هذه الأحاديث سعبد ين عبد القادر باشنفر، في كتابه دلائل النبوة، والكتاب من إصدارات دار ابن حزم.

ومعجزاته ﷺ المادية والغيبية تزيد على الألف بكثير والعهد بها قريب وناقلوها أصدق الخلق وأبرهم.

وهؤلاء الرواة الذين نقلوا إلينا هذه المعجزات كانوا لا يجيزون الكذب فيما دقَّ فكيف يكذبون عليه ويعلمون أن من كذب عليه متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار، كما حذّر هو ﷺ .

فمعجزاته ﷺ ثابتة بالتواتر اللفظي والمعنوي.

وبعض معجزاته ﷺ شهدها آلاف الصحابة وبعضها رواه العشرات منهم فكيف يجمعون على الكذب؟

ورواة الخبر قد أخبروا في جمعٍ كثير قد شاهدوه ولم يُكذبه منهم أحد ودواعي الصدق عامة متعاضدة ودواعي الكذب خاصة متنافرة. فصارت آحادها حجة، ومتواتر مجموعها برهانًا[١].

ومثال ذلك: حديث جنين الجذع وهو حديث مشهور متواتر حيث كان النبي ﷺ يخطب على جذع، فلما عُمل له المنبر ورقي عليه وخطب حنّ الجذع، وأنّ أنين الصبي، ولم يزل يئن ويحن حتى ضمه النبي ﷺ فسكت.

هذا الحديث رواه من الصحابة أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأُبي بن كعب، وأبي سعيد، وسهل بن سعد، وعائشة بنت أبي بكر، وأم سلمة.

فهل مثل هذا العدد من الصحابة يُجمِع على الكذب في رواية خبرٍ كهذا؟

٤٠- ما هي الأدلة الملموسة على صحة رسالته ﷺ؟

أدلة أتحقق منها علميًا!

أ- قال رسول الله ﷺ : «ما من عامٍ بأقل مطرا من عام»[٢].

---

(١) ظاهرة نقد الدين في الفلسفة الحديثة، د. سلطان العميري، رسالة دكتوراه.

(٢) السلسلة الصحيحة، الألباني، رقم الحديث٢٤٦١

أي أن نسبة المطر ثابتة في كل عام، وهذه حقيقة علمية أدهشت العلماء وكأن هناك تقدير إلهي وقيومية إلهية لتثبت نسبة المطر سنوياً والمدهش لنا نحن المسلمين أن النبي ﷺ أخبر بهذه الحقيقة قبل ١٤٠٠ عامًا.

ب- وفي الحديث الآخر: «**أَنَّ أهلَ مكَّةَ سألُوا رسولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُم آيَةً، فأراهُمُ القمَرَ شِقَّينِ، حتى رأَوْا حِراءً بَينهُما**».

فقد انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ فصار فرقتيْنِ فقال النبيُّ ﷺ لأبي بكرٍ فاشهد يا أبا بكرٍ وقال المشركون سحرَ القمرَ حتى انشقَّ.

والحديث متواتر، وقد كان النبي ﷺ يقرأ سورة القمر في المجامع الكبار كالجُمع والأعياد ليُسمع الناس ما فيها من معجزاته ﷺ وكان يستدل بها على صدق نبوته.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه - عليه الصلاة والسلام-، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها»(١).

والمدهش أن هذه الحقيقة رُصدت في الهند زمن وقوع المعجزة وسجلها الهنود في كتبهم كما تذكر(٢).

وفي المخطوطة أن أهل الهند رصدوا انشقاق القمر ومن بينهم الملك شاكرواتي فارماس Chakarwati Farmas وكانت المعجزة سببًا في مرحلة لاحقة في إسلام أهل ماليبار حين مر به الرحالة المسلمون وأخبروهم بالحدث(٣).

ج- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سُئل: هذه المغارب، أين تغرب؟ وهذه المطالع أين تطلع؟

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ١١٨.

(٢) مخطوطة المركز الهندي بالمتحف البريطاني ١٥٢/ ٢٨٠٧-١٧٣.

(٣)http://www.cyberistan.org/islamic/farmas.html

فقال رسول الله ﷺ : «هي على رسلها لا تبرح ولا تزول، تغرب عن قوم وتطلع على قوم،، وتغرب عن قوم وتطلع، فقومٌ يقولون غربت وقومٌ يقولون طلعت»(١).

فهذه أخبار لا يعلمها إلا نبي.

فكيف يعلم إنسان في تلك الفترة أن للشمس مشارق ومغارب متعددة في نفس الوقت؟

د- إخباره ﷺ بأن آدم آخر الخلق من الكائنات الحية.

وهذه الحقيقة العلمية التي يرددها المجتمع العلمي وصارت الآن إحدى مقدماته الشهيرة.

هذه الحقيقة مما أخبر به الإسلام، فقد خلق الله آدم في آخر ساعات الخلق كما ورد في قول رسول الله ﷺ : «**خلق الله آدم يوم الجمعة**».

«**وخَلَقَ آدمَ بعدَ العصْرِ من يوم الجمعةِ ؛ في آخِرِ الخلقِ، في آخرِ ساعةٍ من ساعاتِ الجمعةِ، فِيما بين العصرِ إلى الليلِ**»(٢).

فآدم آخر المخلوقات كما قال المفسرون بناءً على نص الحديث.

قال ابن جرير الطبري في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ ﴾ [الإنسان:١].

عن معمر عن قتادة قال: «كان آدم عليه السلام آخر ما خُلق من الخلق».

وهذا ما يقطع به العلم اليوم بأن آدم لم يظهر إلا في آخر الخلق.

أليس هذا دليلاً مباشرًا على أن خالق الإنسان هو الموحي للنبي محمد ﷺ بالإسلام؟

---

(١) مسند أبي إسحاق الهمداني.

(٢) صحيح الجامع، حديث رقم٢٠٤٤٩.

هـ- قال النبي ﷺ عن خلق الجنين: «مِن كلٍ يُخلق، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة»(١).

وانظر قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢].

والنطفة الأمشاج بإجماع المفسرين هي خليط: ماء الرجل وماء المرأة.

في الوقت الذي كان فيه أساطين الطب بالميراث الأرسطي وبمراجع الطبيب الشهير جالين يقطعون بأن ماء الرجل يدخل رحم المرأة فينمو الجنين ويتغذى على دم الحيض المحتبس في رحمها.

حيث كانوا يظنون أن المرأة يتوقف حيضها بمجرد الحمل لينمو الجنين على دم الحيض، ولم يكونوا يتخيلون أن للمرأة نطفة كنطفة الرجل تشارك في عملية التخصيب والإنجاب.

ولم يُعرف دور نطفة الماء في تكوين الجنين إلا عام ١٧٧٥ على يد Spallanzani and Wolff.

فهذه الحقائق تقطع بأنه وحيٌ يوحى.

و- قال النبي ﷺ: «ما من كل الماء يكون الولد»(٢).

فالولد لا يتولد بكل نطفة الرجل وإنما بحيوانٍ منوي واحد.

ز- حرّم الإسلام الكهانة والشعوذة والتعلق بالنجوم والخطوط المضروبة في الأرض والتشاؤم فكلها خرافات علمية.

قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الرُّقى، و التَّمائمَ، و التِّوَلَةَ شركٌ**»(٣).

---

(١) مسند أحمد ٤٤٢٤.

(٢) صحيح مسلم٣٤٣٨.

(٣) صحيح الجامع حديث رقم١٦٣٢

فكلها شركيات وسخافات لا قيمة لها.

وهذا منتهى ما سلّم به العلم.

ح- قال ﷺ: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خُلق وفيه يُركب»[(١)].

وعجب الذنب primitive streak يُشكل الجنين ثم يتضائل إلى أن يستقر في منطقة العصعص.

فعجب الذنب أوالشريط الأولى primitive streak ينشط في أول أسابيع الحمل نشاطًا عجيباً لتشكيل الجنين وتكوين الخلايا المتخصصة وهو يسمى الشريط الأولى ويسمى أيضًا المنظم الأول primary organizer حيث يُشكل أجهزة الجنين وأعضاؤه.

وفي الأخير يتضائل حتى يستقر في أسفل المنطقة العصعصية[(٢)].

وقد تم نزع عجب الذنب من بعض الكائنات الحية –البرمائيات– ووضعه في جنينٍ آخر فوُجِد أنه يُشكل جنين ثانوي.

ط- قال ﷺ: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد مُلِيء جنانًا»[(٣)].

والحديث كان في منطقة تبوك، واليوم منطقة تبوك جنان فيها من كل الثمرات.

ي- قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [الإسراء:١٢].

قوله تعالى: فمحونا آية الليل.

أي أن القمر كان مضيئًا ثم مُحي ضوؤه.

---

(١) صحيح مسلم٢٩٥٥.

(٢) http://nicheoftruth.org/pages/the_coccyx_bone.asp

(٣) صحيح مسلم ٧٠٦

وهذا بالفعل ما فسّر به الصحابة الآية الكريمة فقد روى الإمام ابن كثير في تفسيره أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال في تأويله للآية: «كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، وهو آية الليل، فمحي».

وهذا ما انتهي إليه العلم وقد نشرت ناسا على قناتها الرسمية في اليوتيوب الحقبة الأولى من عمر القمر وكان فيها مضيئًا متوهجًا[١].

ك- أخبر الله سبحانه أنه خلق السماوت والأرض في ستة أيام، وخلق الأرض في يومين ﴿ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [فصلت:٩].

إذن قرآنيًا عمر الأرض ٢ على ٦ من عمر الكون

أي ثلث عمر الكون.

ولننظر الآن إلى العلم ماذا يقول؟

عمر الكون ١٣,٨ مليار سنة.

عمر الأرض٤,٥ مليار سنة.

أي ثلث عمر الكون.

هذا دليل مباشر وسهل ويسير على أن الموحِي بالقرآن هو خالق السماوات والأرض!

فقد ثبت بالتواتر وقوع المعجزات التي لا حصر لها على يد رجلٍ واحد، والإخبار بالمغيبات ودقائق المسائل، وهذا الرجل جاء بما عليه النبيين من قبله.

فالقطع بأنه نبي هو رشاد العقل!

٤١- ما المانع من الإيمان بالله أشد الإيمان مع الكفر بالأنبياء –الربوبية-؟

لا أعظم جرمًا من الذي يرد على الله وحيه!

---

(١)http://www.nasa.gov/mission_pages/LRO/news/vid-tour.html

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

٤٢- طالما أن معجزاته ﷺ عظيمة لماذا عانده المشركون كل هذا العناد؟

كبار الكفار كانوا يعلمون صدق رسالته ﷺ لأنها رسالة التوحيد فكانت فطرتهم تُسلم بذلك.

أليسوا هم الذين قد قالوا في أول يوم لبعثته: ما عهدنا عليك كذبًا قط.

ما جَرَّبْنَا عليك إلا صدقًا[(١)].

ألم يقل هرقل في حديثه الطويل مع أبي سفيان والحديث في أول صحيح البخاري: « وسَألْتُك هل كنتُم تتهِمونه بالكذبِ قبلَ أن يقولَ ما قال، فذكَرْتَ أن لا، فقد أعرِفُ أنه لم يكُن لِيَذَرَ الكذبَ على الناسِ ويكذِبَ على اللهِ.

ثم قال هرقل قولته الشهيرة: «لو كنت عنده لكنت غسلت عن قدميه».

وكان أبو سفيان يومئذٍ كافرًا.

وحين تلاحى سعد بن معاذ رضي الله عنه والكافر أمية بن خلف، وقد حاول أمية أن يمنع سعد بن معاذ من الطوف بالبيت، فقال سعد في أثناء الجدال: إن رسول الله ﷺ أخبر أنه قاتلك.

فتوقف أمية وأُسقط في يده وقال إياي؟

قال: نعم.

قال: والله ما يكذب محمد إذا حدث.

فرجع إلى امرأته، فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي، قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمدا يزعم أنه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد، قال: فلما خرجوا إلى بدر،

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم ٤٧٧٠

وجاء الصريخ، قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي، قال: فأراد أن لا يخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشراف الوادي فسر يوما أو يومين، فسار معهم، فقتله الله [١].

إنهم يقطعون بصدقه ﷺ.

وفي الحديث الذي رواه البيهقي في سننه: «عن المغيرة بن شعبة قال: إن أول يوم عرفت رسول الله أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول الله فقال رسول الله لأبي جهل: «**يا أبا الحكم، هلمَّ إلى الله وإلى رسوله، أدعوك إلى الله**».

فقال أبو جهل: يا محمد، هل أنت منته عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت؟ فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك.

فانصرف رسول الله.

وأقبل علي فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن يمنعني شيء إن بني قصي قالوا: فينا الحجابة.

فقلنا: نعم.

ثم قالوا: فينا السقاية.

فقلنا: نعم.

ثم قالوا: فينا الندوة.

فقلنا: نعم.

ثم قالوا: فينا اللواء.

فقلنا: نعم.

ثم أطعموا وأطعمنا.

حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبي، والله لا أفعل».

---

(١) صحيح البخاري٣٦٣٢

وما أعجب قصة عمرو بن العاص رضي الله عنه التي رواها عن نفسه في جاهليته حين وفد على مسيلمة، وكان صديقا له في الجاهلية، وكان عمرو لم يسلم بعد، فقال له مسيلمة: ويحك يا عمرو، ماذا أنزل على صاحبكم – يعني: رسول الله ﷺ – في هذه المدة ؟ فقال: لقد سمعت أصحابه يقرءون سورة عظيمة قصيرة فقال: وما هي ؟ فقال: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١-٣]، ففكر مسيلمة ساعة، ثم قال: وقد أنزل علي مثله . فقال: وما هو ؟ فقال: « يا وبر إنما أنت أذنان وصدر، وسائرك حقر نقر.

كيف ترى يا عمرو ؟ " فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أني أعلم أنك لتكذب.

فكان الناس يقطعون بصدقه ونبوته ولكن يمنعهم شيء —حب الدنيا والحسد–!

فمعجزاته ﷺ الغيبية تزيد على الألف.

ومعجزاته المعرفية تملأ موسوعات.

ومعجزاته الإخبارية ما زلنا نرصدها.

ونقلة المعجزات هم صحابته أصدق الخلق وأبّرهم بعده.

وبعض معجزاته ﷺ شهدها آلاف الصحابة مثل نبع الماء من بين أصابعه الشريفة حتى توضا منه وشرب ألف وخمسمائة صحابي والحديث متواتر ورواه البخاري ومسلم.

وتكثير الطعام اليسير ليطعم منه الجيش العظيم جائت به الأخبار المتواترة عن الصحابة فمَن بعدهم. وقد ذكر البخاري وحده معجزات تكثير الطعام في خمسة مواضع من صحيحه[١].

فإذا كانت دواعي الصدق عامة متعاضدة على نبوته ﷺ ، فأنى لعاقل أن يُكذب بكل هذا؟

(١) البخاري (١٢١٧) ، البخاري (٢٦١٨) ، البخاري (٣٥٧٨) ، البخاري (٤١٠١) ، البخاري (٦٤٥٢) وكلها أحداث ووقائع مختلفة متباينة وهذا في البخاري وحده!

توصيات الكتاب

١ ـ تحريض وتأليب العقل المسلم المعاصر على الإقبال على القرآن، وتدبر القرآن، فلو قرأ المسلم والمسلمة كل يوم جزءًا من القرآن الكريم بتدبرٍ مصطحبًا أثناء قراءته تفسير مثل أيسر التفاسير للشيخ أبي بكر الجزائري رحمه الله، فإن قراءة واحدة صادقة لكتاب الله بتدبر ستُغير العقل المسلم وتصنع المعجزات، ففي القرآن أسرار ربانية خاصة.

ولا يمكن أن يخرج منه قارئه بمثل ما دخل عليه.

٢ ـ ترشيد المال الدعوي في نشر كتب تُعزز اليقين بين الشباب الجامعي خاصةً الذي ليس لديه تحصين معرفي وشرعي ضد الشبهات المعاصرة.

٣ ـ التأسيس لمركز بحثي يهتم برسائل الماجستير والدكتوراة التي تكتب في العقد الأخير بشأن مسائل الإلحاد والمادية ونشر ما يصلح منها على نطاق واسع وترجمته للغات المختلفة لأن الإلحاد أصبح ظاهرة لها ثقلها في المضمون الغربي المعاصر.

٤ ـ حث الحكومات المسلمة والمؤسسات الخيرية على دعم مشروع كبير للدعوة إلى الإسلام، بحيث يتشكل المشروع من لجانٍ فرعية تختص كل لجنة بدعوة فئة بعينها، فتكون هناك لجنة للنصرانية ولجنة لليهودية ولجنة للهندوسية ولجنة للبوذية ولجنة للإلحاد.

ويكون للمشروع مواد وبرامج وكتب دعوية تصل لهذه الفئات بلغاتها، ويكون للمشروع لجنة للدعوة إلى الإسلام عبر مواقع التواصل الاجتماعي باللغات الأجنبية، ولجنة بحث معلوماتي لتقديم معلومات دينية وسكانية واجتماعية للجان الأخرى.

ويتحول المشروع مع الوقت إلى وزارة مستقلة داخل الدولة لها فروعها وسفاراتها الدعوية في بلاد العالم.

٥ـ التأسيس لمشاريع دعوية حقيقية في الجمعيات والمؤسسات الأهلية والأندية الطلابية بحيث يتم تفريغ مجموعة من الشباب للعمل الدعوى عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

فيكون هناك مجموعة من الشباب لدعوة البوذيين.

ومجموعة لدعوة الهندوس.

ومجموعة لدعوة الملحدين في الغرب.

ومجموعة لدعوة أهل الكتاب.

ويمكن الاكتفاء مبدئيًا بشاب في كل فئة من هذه الفئات المستهدفة.

والحمد لله رب العالمين..